كلمة تقدير لزميلة محترمة وعالمة فاضلة

الأستاذة راندي ديغيلام رائدة الدراسات الوقفية

أ.د. ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر 2

من الأساتذة الباحثين الذين فرضوا حضورهم العلمي ووضعوا بصماتهم في ميدان دراسة الأوقاف الإسلامية على المستوى العلمي، وكان لنشاطهم أثر ملموس في تطور أساليب طرق البحث في الأوقاف وتجديد إشكالياته الأستاذة د. راندي ديغيلام مديرة بحث بالمركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي بإيكس آن بروفانس والمشرفة على سمينار البحث في مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس(E.H.E.S.S.) ، وهذا ما استوجب عليّ كتابة هذه الكلمة إشادة بجهودها وتقديرا لإنجازاتها في مجال الدراسات الوقفية، وكذلك تعبيرا عن العلاقة العلمية التي تربطني بها والصداقة التي تجمعني بها.

وحرصا مني على أن تكون هذه الكلمة صادقة في مضمونها ومعبرة في سياقها عن مكانة الأستاذة الباحثة راندي ديغيلام، فإنني سوف أتناول فيها ثلاث نقاط محددة: الأولى تتعلق بحياة الأستاذة راندي العلمية، والثانية بواقع التعاون معها، والثالثة بمواصفات عطائها العلمي ضمن إسهام الباحثين الفرنسيين في الدراسات العربية الاسلامية.

أولا: الأستاذة راندي باحثة في قضايا وإشكاليات الوقف:

فرضت الأستاذة راندي نفسها في مجال البحث، وأصبحت من أعلامه بكدها ونشاطها وإصرارها على مواصلة الدراسة. وبدأ مشوارها في موطنها الأصلي بولاية نيوجيرسي حيث ولدت ونشأت وتعلمت، واستكملت دراستها بجامعة نيويورك بحصولها على الدكتوراه (1986). وقد عانت المصاعب المادية والمعنوية لاستكمال مشوارها الدراسي حسبما أفادتني به في معرض الحديث عن ذكرياتها التي تعود لسنوات الدراسة.

لقد كان موضوع أطروحتها للدكتوراه "تاريخ مؤسسات الوقف مع دراسة نماذج من مدينة دمشق في العهد العثماني وفي فترة الحماية الفرنسية" بداية تواصلها مع المشرق العربي وارتباط أبحاثها ببلاد الشام ، فقد تحصلت على منحة دراسية بدمشق في إطار تحضير أطروحتها من مؤسسة فولبرايت-هايز(Fulbright-Hays) ، فتواصلت مع المعهد الفرنسي بدمشق، وتعرفت على مصلحة الوثائق العثمانية بسوريا وسجلات المحاكم الشرعية بدمشق ،واطلعت على الأرشيف العثماني بإستانبول، وأصبحت عضوا في جمعية الدراسات السورية بأمريكا .(S.S.A.) وكونت علاقات تعاون مع الباحثين في الفترة العثمانية بسوريا ولبنان ومنهم الأستاذ الباحث د. عبد الكريم رافق. كما تعرفت كذلك على الأرشيفات البريطانية والفرنسية في بحثها عن وثائق الوقف واهتمامها بتحليل حجج الوقف في بحوثها عن واقع الأوقاف ببلاد الشام.

وبعد حصولها على منصب باحثة بالمركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي بإيكس آن بروفانس وارتباطها بشريك حياتها المهندس رودولف وتكوينها أسرتها المؤلفة من ابنتها سارة وابنها

جوناثان، اتسع اهتمامها العلمي فأصبح يشمل العالم العثماني بما فيه منطقة المغرب العربي.

لقد ساعد الأستاذة راندي على النجاح في دراستها وتأكيد مكانتها كباحثة في الأوقاف ومشرفة وموجهة للعديد من مشاريع البحث المتعلقة بالوقف، عوامل قلّما توفرت لباحثين آخرين، فقد تكونت في مناخ الثقافة الأنكلوساكسونية بفاعليتها، وتعاطت مع بيئة الشرق الأوسط بعمقها وأصالتها، وفرضت حضورها في الوسط العلمي الفرنسي بمناهجه ورصيده المعرفي. كما أنها اتصفت بالبساطة في التعامل والانفتاح على الآخر والمواظبة على الإنتاج الأكاديمي في موضوع اختصاصها، واهتمت بالتواصل العلمي مع الباحثين في قضايا الوقف والتعاون مع مراكز البحث، كل ذلك أكسبها الأصدقاء، وحببها للطلبة، وفتح لها مجالات تعاون ظلت مغلقة في وجه العديد من الباحثين.

أنجزت الأستاذة راندي الكثير من الأبحاث والعديد من الدراسات جلّها في مجال اختصاصها، كما كان لها حضور في اللقاءات العلمية والمؤتمرات التاريخية العالمية، إسهام في الدراسات الوقفية، نذكر بعض ما أمكننا الاطلاع عليه :

1986: تاريخ مؤسسات الوقف من خلال نماذج دراسة من دمشق من العهد العثماني إلى فترة الانتداب، أطروحة دكتوراه، جامعة نيويورك.

History of the waqf foundations and case studies from Damascus from Ottoman and Mandatory Périods, thèse de PhD, New York University, publ. n° 8626861, Service de thèses doctorales, Ann Arbor, Université de Michigan, USA, 444pp.

1988 : قرض المرصد الخاص بالأملاك الوقفية.

Le prêt de mursad sur les propriétés en waqf, A Way Prepared : Essays on Islamic Culture in Honor of R. Bayly Winder, in Farhad Kazemi et Robert D. McChesney, éd., New York University Press, NYC, pp. 68-79

1991 : مقاومة إلحاق الوقف بالدولة: النموذج السوري، مؤتمر الدراسات الشرقية والإفريقية، لندن.

L'opposition au rattachement du waqf à l'État : l'exemple syrien, in Tony Allan, Diana Gur and Fiona Barr, éd., Actes du congrès du BRISMES à SOAS (School of Oriental and African Studies), Londres en 1991, Londres, SOAS, pp. 223-230

1991 : وثائق الوقف: مصادر متعددة الأبعاد: نموذج دمشق في القرن 19 م.

Les documents de waqf : source polyvalente. Le cas de Damas au 19e siècle, in Daniel Panzac, éd., Les villes dans l'Empire ottoman. Activités et sociétés, Paris, Éditions du CNRS, pp. 67-95, 191-203

1993 : القهوة والمقاهي بدمشق وأطروحة الشيخ جمال الدين القاسمي، مجلة الدراسات الشرقية، عدد 45، المعهد الفرنسي بدمشق.

Le café et les cafés à Damas et le traité de sayh Gamâl al-Dîn al-Qâsimî, BEO (Bulletin d'Etudes Orientales) n° 45, IFEAD, Damas, pp. 21-32

1994 : وثائق الوقف كأدااة لفهم التاريخ الاجتماعي والاقتصادي العثماني.

Les documents de waqf pour comprendre l'histoire socio-économique de l'Empire ottoman, Actes du VII e congrès du CIEPO à Peçs (Hongrie) en 1986, Ankara, Türk Tarih Kurumu Basimevi, pp. 35-41

1995 : مقاربة منهجية لوثائق وقفية: دفتران شرعيان بدمشق في القرن **19** م، ضمن كتاب الوقف في المجال الإسلامي: أداة للسلطة الاجتماعية والسياسية، دمشق، **1995**.

Approche méthodologique d'un fonds de waqf : deux registres de sharî'a du 19e siècle à Damas, in Randi Deguilhem, éd., Le waqf dans l'espace islamique. Outil de pouvoir socio-politique, IFEAD, Damas, et Paris, Éditions Adrien Maisonneuve, pp. 45-70

1998 : الفرد والمجتمع في العالم المتوسطي الإسلامي: أسئلة ومصادر (بالاشتراك مع آخرين..(

Individu et société dans le monde méditerranéen musulman. Questions et sources, préface par Robert Ilbert, Aix-en-Provence, Paul Roubaud, ISBN 2-9512731-0-X, 160pp.

2000 : الوقف في الدولة العثمانية حتى **1914**، ضمن موسوعة الإسلام.

Waqf in the Ottoman Empire up to 1914, Encyclopedia of Islam, fascicule 179-180, Leyde, Brill, pp. 87-92

2000 : أطروحات حول علمنة الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر: ولايات الشام، موسوعة الحضارة التركية العثمانية، **2000**.

Réflexions sur la laïcisation de l'éducation dans l'Empire ottoman au XIXe siècle : les provinces syriennes, Encyclopédie de la civilisation turc-ottoman, Ankara, Yeni Turkiye, 2000, p. 662-668 ; cet article aussi publié en turc : « Sam Eyaleti Orneginde Osmanli Imparatorlugu'nda Egitimin Laiklestirilmesi », Osmanli, Ankara, Yeni Turkiye Yayinlari, pp. 231-236

2001 : مدى حركية الأملاك الوقفية في السوق العقارية: دراسة مقارنة بين دمشق والجزائر في القرنين **18** و**19** م/ مؤتمر الوقف في الجزائر (ق. **18**–**19** م)، مجلة دراسات إنسانية، الجزائر.

Circulation des biens waqf sur le marché immobilier et foncier : à quel point ? Étude comparative de Damas et d'Alger au 18e et au 19e siècle, Dirassat Insania (Études Humaines), n° spécial sur Le waqf en Algérie (18e et 19e siècles) : sources, problématiques et thématiques, Alger, pp. 36-57

2002 : السلطة المركزية وسلطة القرار المحلي: تسيير المؤسسات الوقفية بدمشق في نهاية العهد العثماني، ضمن كتاب "الإمبراطورية في المدينة: العواصم الإقليمية العربية في نهاية العهد العثماني"، بيروت.

Autorité centrale et pouvoir décisionnel local : gestion des fondations pieuses à Damas à la fin de l'époque ottomane, in Thomas Philipp, Jens Hanssen et Stefan Weber, éd., L'empire dans la ville : les capitales provinciales arabes à la fin de l'époque ottomane, Beyrouth, Institut oriental allemand, Beiruter Texte und Studien 88, pp. 219-234

2002 : كتابة المؤنث: المرأة في المصادر العربية، لندن.

Writing the Feminine : Women in Arab Sources, (dir. avec Manuela Marin, CSIC, Madrid), Londres, IB Tauris, ISBN 186064-697-2, 278pp.

2002: حول التملك والسلطة وكراء أملاك الوقف بدمشق والجزائر في القرن التاسع عشر: نموذج الكدك والخلو والجلسة"، ملتقى مؤسسات الأوقاف بالجزائر في القرنين 18 و19 م، إيكس آن بروفانس، 13–15 جوان 2002.

Sur la possession, le pouvoir et la location des propriétés waqf à Damas et à Alger au 19ème siècle : exemple du kadak wa-khulû et de la jalsa, Colloque : Le rôle des fondations pieuses en Algérie aux 18ème et 19ème siècles, Aix-en-Provence, 13-15 juin 2002.

2003 : عدم الوعي بنوع الجنس" والتأثير الاجتماعي بدمشق آخر العهد العثماني: نساء تؤسسن الأوقاف وتديرها، مجلة حواء (مجلة المرأة في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي)، ليدن .

'Gender Blindness' et l'influence sociétale à Damas à la fin de l'Empire ottoman : des femmes qui créent et administrent les fondations pieuses, HAWWA : Revue de la femme au Moyen-Orient et du monde musulman n° 1/3, Leyde, Brill, pp. 329-350

2008 : الوقف في المدينة، ضمن كتاب المدينة في العالم الإسلامي، ليدن. (بالاشتراك مع آخرين)

Le waqf dans la ville, in Salma K. Jayyusi (direction générale) avec Renata Holod, Attilio Petruccioli et André Raymond, La ville dans le monde musulman, Leyde, Brill, pp. 923-950

2008 : الشرع الإسلامي: ممارسات جديدة ومؤسسات قديمة، ضمن حولية قانون وأديان، إيكس آن بروفانس.

Droit musulman : usages nouveaux des institutions anciennes, Annuaire Droit et Religions, volume 3, Presses de

l'Université Paul Cézanne, Faculté de Droit et de Sciences Politiques, collection « Droit et Religions », dirigée par Blandine Chelini-Pont, Aix-en-Provence, France, pp. 125-130

2009 : لماذا الكدك مع الخلو؟ كراء الملك التجاري الوقفي في دمشق في القرن 19 م، أيام الدراسية لمعهد الأبحاث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي :(IREMAM) الأوقاف العثمانية: الأحكام الدينية والعرف والقانون المدني: عقود الكراء، إيكس آن بروفانس، أكتوبر 2009.

Pourquoi le kadak avec le khulû? Louer un bien commercial d'un waqf à Damas au 19ème siècle, in Journée d'étude IREMAM : Les waqfs ottomans : Droit religieux, droit coutumier, droit civil : les contrats locatifs, Aix-en-Provence, octobre 2009.

2014 : عقد سلطة: تحديد مصطلح كدك (جدك) في وقف دمشق من العهد العثماني إلى سوريا المستقلة، ملتقى الوقف ومصطلحاته: بين الممارسات الاجتماعية المحلية والمعايير الوقفية، معسكر (الجزائر)، 23–24 جوان 2014.

Un contrat de pouvoir : situer le kadak dans le waqf de Damas de l'ère ottomane à la Syrie indépendante, in Colloque : Le waqf et sa terminologie : entre pratiques sociales locales et normes de jurisprudence, Mascara (Algérie), 23-24 juin 2014.

2015 : دوائر السلطة، نوع الجنس، ومجالات قرار الفرد في شؤون الوقف: الفقه الحنفي والممارسات العثمانية بدمشق:الملتقى الدولي لمجموعة أبحاث الوقف :(GDRI Waqf) ترك البصمة في المجتمع: مؤسسات الوقف، الفرد ودوائر السلطة في البلاد الإسلامية، إيكس آن بروفانس، 5–6 جوان 2015.

Cercles de pouvoir, genre et espaces décisionnels de l'individu en matière de waqf : jurisprudence hanéfite et

pratiques ottomanes à Damas, Colloque international du GDRI Waqf: Laisser son empreinte dans la société : Fondations waqf, individu et cercles de pouvoir en pays d'Islam, TEELEM/MMSH, Aix-en-Provence, 5-6 juin 2015.

2015 : دول استعمارية تطالب بالوقف، مقاربة جهوية متعددة المجالات : من الشرق الأوسط الخاضع للهيمنة الفرنسية والبريطانية إلى تجارة المحيط الأطلسي، ملتقى دراسة الوقف من وإلى الشرق، طوكيو، المكتبة الشرقية بونكو، 5-6 ديسمبر 2015.

Colonial States Claiming Waqf : A Transregional Approach : From the French and British Near East to Atlantic Trade, in Comparative Study of the Waqf From and To the East, Tokyo Bunko Oriental Library, Tokyo, 5-6 December 2015.

أما من حيث النشاط الأكاديمي، فقد نجحت الأستاذة راندي إلى حد كبير في تكوين شبكة تعاون علمي مع الأساتذة الباحثين في قضايا الوقف في مختلف الهيئات المهمة، كما كان لها تواصل مع الباحثين، نذكر منهم من كان لهم اتصال وثيق معها وكانت لهم مشاركة في الملتقيات التي نشطتها أو أشرفت عليها، الأساتذة الدكاترة :عبد الكريم رافق من سوريا، محمد عفيفي من مصر، تورو ميورا من اليابان، عبد الحميد هنية و محمد ميريمي من تونس، آندري ريمون وميشيل توشيرير وجان بيير ديديو ومارينو بريجات من فرنسا، وفاروق بليجي ومراد جيزاكجه من تركيا، احسن لحساسنة من ماليزيا، وموسى سرور ويوسف محسن من فلسطين وأحمد مصلح من عمان، وطارق عبد الله من الإمارات، وعيسى بوراس وودان بوغفالة وناصر الدين سعيدوني من الجزائر، وغيرهم ممن لم تسعفنا الذاكرة بضبط أسمائهم.

كما كان للأستاذة راندي واصل مع طلبة الدراسات العليا الذين لم تبخل عليهم بالتوجيه والإشراف، وهذا ما سمح لها بتشكيل مجموعة بحث كان لها إسهام معتبر في تدعيم دراسة الأوقاف في العديد من الأقطار، وسمحت للباحثين الشباب بإنجاز بحوث جيدة في إطار اللقاءات العلمية والأطروحات الجامعية التي ساهمت في تطوير الدراسات الوقفية وسمحت بتكوين أساتذة مختصين في الوقف، أصبحوا في طليعة الجيل الجديد من الباحثين في قضايا الوقف ، نذكر منهم على سبيل المثال: زهرة زكية وودان بوغفالة من الجزائر، وموسى سرور من فلسطين، وعقيل نمير من سوريا، وصابين صاليبا من لبنان، ومحمد رضا نايستاني من إيران، ومنيرة طرشون من تونس و غيرهم.

هذا ولا يمكن أن نغفل في مجال النشاط العلمي للأستاذة راندي سهرها على تنظيم اللقاءات والمؤتمرات العلمية، وإدارتها لمشاريع البحث في مسائل الوقف، وإشرافها على السمينارات الخاصة بالاوقاف، وحضورها الدائم في المؤتمرات والندوات العلمية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر بعض مشاريع البحث التي نشرتها أو أشرفت عليها وعملت على إنجاحها :

-أصدرت كتاب الحياة الثقافية في سوريا أثناء ق. 19 م والنصف الأول من ق. 20 م: التربية والثقافة والسياسة والجمعيات..

-أشرفت على إصدار كتاب الأوقاف في الفضاء الإسلامي: أداة سلطة اجتماعية وسياسية، والذي شارك في تحرير مادته عدد من الباحثين (أصدره المعهد الفرنسي بدمشق، 1995).

Le waqf dans l'espace islamique. Outil de pouvoir socio-politique, préface par André Raymond, Damas, IFEAD/Paris, Éditions Adrien Maisonneuve, ISBN 2-901315-13-5, 437pp.

-أشرفت مع الأستاذ د. ناصر الدين سعيدوني على مشروع بحث عن دور المؤسسات الوقفية في الجزائر (ق. **17-18** م) في إطار التعاون بين المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي (CNRS) وجامعة الجزائر (**2000-2002**).

-أشرفت مع الأستاذ د. عبد الحميد هنية على ورشة مؤسسات الوقف ضمن الملتقى الدولي الثاني للبحث الاجتماعي والسياسي المتوسطي،الذي نضمه المعهد الجامعي الأوربي روبير شومان، فلورنسا (إيطاليا)، **21-25** مارس **2001**.

-أشرفت على إدارة مجموعة البحث الدولية حول مؤسسات الوقف (GDRI Waqf) للهيئات العلمية الفرنسية (CNRS TELEMME))مخبر الأزمنة، المجالات، اللغات، أوربا الجنوبية-المتوسط).

-شاركت في مشروع بحث دولي في موضوع "الفرد والمجتمع في العالم الإسلامي المتوسطي"، صدر التقرير العلمي حوله في **2003**.

Rapport final du programme international de recherche, « Individu et Société dans le Monde Méditerranéen Musulman (ISMM) », Strasbourg, Fondation européenne de la Science (ESF), 59pp. + carte

-تشرف حاليا ومنذ **2010** على سمينار بحث وتدريس في موضوع "الوقف" في مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس.(EHESS)

ثانيا: التعاون العلمي مع الأستاذة راندي:

لقد كان تعرفي على الأستاذة الباحثة راندي وتعاوني معها بحكم اهتمامي بالعهد العثماني وعملي على وثائق الوقف، فكان ذلك دافعا لي للاهتمام أكثر بإشكاليات الوقف وتوسيع نشاطي البحثي إلى قضايا ظلت هامشية في اهتماماتي العلمية. وهذا ما يجعلني أعتبر نفسي محظوظا في تعاوني مع الأستاذة راندي، وشجعني على تخصيص سمينار الدراسات العليا الذي كنت أشرف عليه بمعهد التاريخ بجامعة الجزائر لمسائل الوقف. كما كان ذلك دافعا لي للعمل مع الأستاذة راندي في مشروع بحث مشترك عن دور مؤسسات الوقف بالجزائر (ق. 17–18 م) في إطار التعاون العلمي بين جامعة الجزائر وإدارة البحث العلمي بالمركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي (CNRS/DRS) من **2000** إلى **2002**.

أما تعرفي على الأستاذة راندي فكان بحكم الاهتمام المشترك واللقاءات العلمية في مؤتمر بلاد الشام بدمشق ومؤتمر اللجنة العالمية لدراسات قبل و أثناء العهد العثماني (CIEPO) ببيتش (المجر) وأنقره وإيكس آن بروفانس، وكانت بداية التعاون الفعلي في المؤتمر الدولي عن العلم والمعرفة في العالم العثماني (**1326–1960**) الذي نظمه مركز أبحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول (**5–12** أكتوبر **1999**) بمناسبة ذكرى مرور سبعمائة عام على قيام الدولة العثمانية. وأثناء هذا المؤتمر تباحثت مع الأستاذة راندي حول إمكانية بحث مشترك في موضوع الوقف في إطار التعاون

العلمي بين جامعة الجزائر و المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي، ومنذ ذلك الوقت ومع تكرر اللقاءات العلمية أمكن إعتماد مشروع البحث بإشراف مشترك بين جامعة الجزائر والمركز الوطني الفرنسي للبحث بإيكس آن بروفانس، وكان موضوع مشروع البحث المشترك "دور المؤسسات الوقفية في الجزائر (ق. 17-18 م): العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والروحية، وقد أثمر المشروع بتحقيق نتائج مشجعة سمحت بعقد ندوتين دوليتين ضمت العديد من الباحثين، وقدمت فيها بحوث متميزة. عقدت الندوة الأولى بالمركز الوطني للأرشيف بالجزائر (29-30 ماي 2001) في موضوع: "الوقف في الجزائر أثناء القرنين 18 و19 م" (نشرت أعمال الندوة بالجزائر في 2002)؛ والندوة الثانية جرت بإقامة البحر المتوسط لعلوم الإنسان (MMSH) بإيكس آن بروفانس (13-15 جوان 2002) في موضوع: "دور المؤسسات الخيرية في الجزائر (ق. 17-19 م): مصادر دراستها وإشكالية معالجتها وتحديد مواضيعها، وشارك في الندوة نخبة من الباحثين الشباب المتميزين الذين فرضوا حضورهم العلمي في مجال دراسة الوقف، نذكر منهم من الفريق الجزائري: زكية زهرة، وعائشة غطاس(رحمهما الله)، وودان بوغفالة، ومعاوية سعيدوني، وإبراهيم بن يوسف، وعلي تابليت، وفلة القشاعي، ونعيمة بوحمشوش، وفاطمة الزهراء قشي، ونبيلة سفاج، وسامية شرقي، وفضيلة تكور.

هذا وقد توسع التعاون العلمي مع الأستاذة راندي إلى فتح المجال لبعض الطلبة للاستفادة من الإشراف المشترك بين جامعتي الجزائر وإيكس آن بروفانس، وبالفعل أسفرت مبادرة الأستاذة راندي على نتيجة إيجابية، فقد سجل تحت إشرافنا المشترك الباحث ودان بوغفالة والباحثة زكية زهرة، فناقش الأول أطروحة دكتوراه فرنسية-جزائرية بجامعة الجزائر، واضطرت الباحثة الثانية أن تناقش أطروحتها بإيكس آن بروفانس لاستنفاذ المدة القانونية للإشراف المشترك. وفي إطار هذا التواصل العلمي وجد العديد من الباحثين الجزائريين القادمين إلى مراكز الأرشيف بإيكس للبحث عن وثائق الوقف كل المساعدة والرعاية من الأستاذة راندي عند اتصالهم بها.

ثالثا: مكانة الأستاذة راندي في الدراسات الوقفية:

إن الإسهام المعرفي للأستاذة راندي والتواصل العلمي معها يفرضان عليّ أن أسجل ملاحظات تتعلق بشخصيتها العلمية ومكانتها في الدراسات الوقفية، وحتى تكون هذه الملاحظات صادقة ومعبرة عن نظرة موضوعية فسوف أسجلها كانطباعات شخصية في النقاط التالية:

1 - من حيث سلوكها الإنساني يشعر المتعامل مع الأستاذة راندي بحيويتها الاجتماعية وتقبلها للتعاون العلمي، وهذا ما أكسبها القدرة على تكوين روابط علمية مثمرة ومتينة، ولعل عمق الجانب الإنساني في شخصية الأستاذة راندي هو الذي أكسبها أصدقاء كثيرين، وحوّل التعامل معها إلى صداقة ذات بعد إنساني، وهو

البعد الذي أعتبره منطلق كل صداقة علمية وتعاون أكاديمي، لأنه يقوم على الاحترام المتبادل، وخاصة تثمين قدرات الباحث الناشئ وإحاطته بالرعاية العلمية. ولعلي لا أبالغ إن قلت بأن الأستاذة راندي من الأشخاص القلائل الذين تعاملت معهم ووجدت نفسي ارتبط بهم بصداقة علمية خالصة واحترام متبادل، مما كان لهما أثر في تحقيق إنجازات علمية مشتركة في مجال دراسة الوقف في الجزائر.

2 - عي الأستاذة راندي الدؤوب وعملها المتواصل للقيام بالمهام الموكلة إليها، وتنفيذ البرامج والمشاريع التي تشرف عليها بمراكز البحث، متجاوزة العمل الفردي والمعاملات البيروقراطية إلى العمل الجماعي والمبادرة الشخصية، فعرفت كيف تستغل الوقت المتاح لها والإمكانيات المتوفرة لديها، حتى يُخال للمتعامل معها أنها أشبه شيء بآلة منضبطة في استغلال الإمكانيات واستعمال وسائل المعلوماتية الحديثة بدقة وكفاءة، وهذا ما كان له أثر إيجابي إذ أحدث حيوية في وسطها العلمي وأعطى ديناميكية لمشاريع البحث لم تكن معهودة في مراكز البحث الفرنسية ذات الأسلوب الكلاسيكي في الإنجاز، على أن تفاني الأستاذة راندي في أداء مهامها في إدارة وتنسيق البحوث ربما كان له انعكاس سلبي، فقد حدّ من الوقت المتاح لها لإنجاز بحوثها الخاصة و ممارسة هواياتها الثقافية، بل جعلها في كثير من الأحيان تعطي الأسبقية لعملها العلمي على حياتها الخاصة.

3 - أما من حيث المسار العلمي للأستاذة راندي، فيلاحظ عليه أن جل دراساتها في الوقف تتعلق ببلاد الشام أو ما يتصل بها، لكن انفتاحها على آفاق البحث مكنها من تجاوز الإطار المشرقي-

العثماني إلى الفضاء العربي الإسلامي الواسع، فاتخذت من الوقف وسيلة للتعرف على هذا الفضاء، كما اعتبرت تحليل الوثيقة منطلقا للبحث، واعتمدت مناهج مدرسة الحوليات طريقة لاستنطاق الإشكاليات، فلم تتوقف عند الاعتبارات الإقليمية والقطرية والتصنيفات الإثنوغرافيا والأحكام القيمية. فالوقف بالنسبة لها آلية تستعمل لفهم بنية المجتمعات الإسلامية المعاصرة وليس للحكم عليها كما نحت بعض الدراسات الغربية، الأمر الذي مكّن الأستاذة راندي من المساهمة في تثمين قيم تلك المجتمعات وتجديد أدوات تنظيمها المعبرة عن روحها وقيمها، عكس بعض الدراسات المتأثرة بالحداثة الغربية التي تستخدم الدراسات الوقفية في التدليل على جمود وتأخر المجتمعات الإسلامية.

4 - وإذا عدنا إلى تعامل الأستاذة راندي مع الوثيقة الوقفية، فإننا نلاحظ التزامها بالمعلومات التي توفرها، لكنها تحاول أيضا تثمينها من خلال إخضاعها لإشكاليات مستمدة من معطيات الحضارة الإسلامية ومتطلبات تطور المجتمعات الإسلامية في إطارها الحضاري، كما يتضح من عناوين بحوثها العديدة، مثلك الفرد والمجتمع في العالم الإسلامي، والتملك والسلطة وكراء الأملاك الوقفية، وعقد السلطة ودوائر النفوذ، والاستعمالات الجديدة لمؤسسات قديمة في الشريعة الإسلامية، وحركية الأملاك الوقفية في السوق العقارية، والتحكم المركزي وسلطة القرار، وغيرها... وهي بذلك تحاول إخراج الوقف من كونه ظاهرة تاريخية وإجراءات شرعية إلى كونه حقيقة اجتماعية وتطبيقات عملية، مما يعطي

للوقف مجالا رئيسيا في الموروث الحضاري الإسلامي تتفاعل فيه قضايا الوقف التقليدية مع آراء الحداثة الساعية لتطويره.

5 - أما إذا حاولنا توصيف تفاعل الأستاذة راندي مع قضايا الوقف، فيستخلص من كتاباتها العديدة بأنها تنظر إلى الوقف كظاهرة حضارية متكاملة من حيث أنواعها وأساليبها وتأثيراتها، فانطلقت من خصوصية الأوقاف ببلاد الشام لترسم صورة إجمالية لها في باقي الأقاليم الإسلامية، مما دفعها إلى عقد مقارنة بين الإصطلاحات وإجراءات ومعاملات استغلال الأوقاف، ومعالجتها من منظور مدرسة الحوليات وأساليب علم الاجتماع، بعيدا عن النظرة العلمانية الغربية لمقومات الحضارة الإسلامية، والأسلوب التقليدي الرافض للقطيعة مع الماضي والتنكر للتراث. وهذا ما جعل الأستاذة راندي تنطلق في بحثها وتعاملها مع إشكاليات الوقف من الموروث الحضاري والقيم الدينية التي تقوم عليها المصالحة مع الذات والتعامل مع مستجدات العصر الحديث.

6 - أما من حيث تحديد نظرة الأستاذة راندي للأوقاف، فنجد أنها ترى بأن الوقف أداة للبناء الاجتماعي بامتياز، فهي تركز في بحوثها على ثلاثة عناصر هي: المنظومة القانونية الإسلامية، والتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تفرضها الحاجة، والملكية والحيازة وحق التصرف كتطبيق عملي، مما خلق حركية في المجتمعات الإسلامية، وأدى إلى تلبية متطلبات الأفراد والجماعات الإسلامية. كما دفعتها هذه المقاربة إلى الانطلاق في تحليل بنية المجتمعات الإسلامية من واقع الوقف من خلال ثلاثة مكونات اجتماعية: الفرد الذي يتحكم فيه الوازع الديني والمصلحة الدنيوية؛ والمجتمع

الراغب في التكامل وتوفير المتطلبات الاقتصادية؛ والسلطة كأداة تحكم وتسيير. فهذه المكونات الأساسية هي التي يقوم عليها مجتمع مدني إسلامي لا يرفض التقليد ويتنافى مع الحداثة، وإنما يتمثل القيم الدينية والتعامل مع الموروث الثقافي حسب وسائل العصر. وهذا ما يجعل الوقف بمصادره المالية وهيئاته الإدارية وتحكمه في البنية الاجتماعية، وسيلة تطور وأداة تحديث وعامل تكافل اجتماعي.

إن هذه الملاحظات عن منهج الأستاذة راندي وطريقة تعاملها مع ظاهرة الوقف ورصيدها في الإسهام المعرفي في دراسة الوقف وعملها الدؤوب على خدمة محيطها، كلها ميزات تضعها في مكانة متقدمة في البحث التاريخي في مجال الأوقاف بجامعة إيكس، وتجعل منها أحد الأعلام في تجديد البحث في قضايا الوقف وفي تطوير شبكة التعاون الجامعي في مجال دراسات الوقف، فقد حافظت على الثقل العلمي لمراكز البحث العلمي بجامعة إيكس، وواصلت رسالة الرواد من أمثال روبير مونتران وآندري ريمون. كما فرضت الأستاذة راندي حضورها على المستوى العالمي وتركت بصماتها على جيل الباحثين الشباب الذين تعاملوا معها، واحتلت مكانا مميزا في قلوب زملائها الذين سعدوا بالتعاون معها، مما يستوجب علينا للأمانة العلمية والأخلاقيات الجامعية الاعتراف بفضلها وتثمين جهدها في مثابرتها لترقية الدراسات الوقفية في العالم الإسلامي.

في ختام هذه الكلمة إلا أن نشد على يد الأستاذة راندي ونشجعها احتراما وتقديرا لها، متمنين لها التوفيق في حياتها الخاصة والنجاح في مشاريعها البحثية.